الفصل الخامس

التكامل مع خدمات وبرامج أخرى

مارشا جنتري
Marcia Gentry

يتكامل التجميع العنقودي المدرسي الشامل تكاملًا جيدًا مع خدمات المدارس الأخرى، بما في ذلك: برامج سحب الطلاب، ونموذج الإثراء الثلاثي (Renzulli & Reis, 1994)، ونموذج بوردو ثلاثي المراحل (Moon, Kolloff, Robinson, Dixon, & Feldhusen, 2009)، فضلًا عن البرامج المستقلة، أو خيارات برنامج المدرسة الخاصة، وذلك بإضافة طبقة أخرى من الخدمات للطلاب غير المستعدين مبدئيًّا للانضمام إلى الصفوف المستقلة أو المدرسة الخاصة. إنَّ تقديمَ المدرسةِ مجموعةً مختلفةً من الخدمات لحفز الطلاب إلى تطوير مهاراتهم المختلفة يمكِّن المعلِّمين من زيادة فرص تحديد مناحي القوة وتطويرها لطلاب أكثر.

يحتوي الشكل (5–1) على مجموعة من البرامج والخدمات التي يمكن تطبيقها في المدارس الابتدائية. وبحسب هذا الشكل، فإنَّه توجد مجموعة غنية من الخدمات تثري تعليم طلاب المرحلة الابتدائية. وبوجه عام، يجب أنْ تركِّز عملية إثراء الصف العامة على ما يثير اهتمام الطلاب، ويستهدف أوجه قوتهم.

اقترح رينزولي إضافة خبرات النمط الأول (Type I) في الصفوف لإثارة اهتمامات الطلاب كافةً، ودمج أنشطة النمط الثاني (Type II) التي تساعد الطلاب على الإفادة من مهارات التعلُّم لديهم، علمًا بأنَّ بعض المعلِّمين يستعملون وحداتٍ مرتبطةً بفكرة مركزية لإثراء صفوفهم. خلاصة القول أنَّه يجب تبني فكرة الإثراء في جميع صفوف المدارس التي تعتمد نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل. يُذكَر أنَّ الجزء الثاني يناقش مسائل

الاستكشاف والاستفسار والتعلُّم عن طريق حل المشكلات والمسائل، وجميعها تضيف عمقًا إلى فكرة الإثراء.

المدرسة الابتدائية
إثراء الصف العام، مواهب لا متناهية، كتب عظيمة.
الاستكشاف، الاستفسار، التعلُّم عن طريق حل المشكلات والمسائل.
مجموعات الإثراء العنقودية.
التدريس المتمايز.
ضغط المنهاج الدراسي.
الإرشاد الفردي، وإرشاد المجموعات الصغيرة.
الصحة الجسدية والوجدانية والاجتماعية.
الدراسة المستقلة في مجال الاهتمام.
المنتج أو الخدمة في مجال الاهتمام.
الوعي وإدراك المهنة.
تجميع الطلاب عنقوديًّا داخل الصف.
التجميع العنقودي المدرسي الشامل.
التجميع العنقودي بين الصفوف بناءً على مستوى المهارة.
التجميع العنقودي غير المصنف.
سحب الطلاب من الصف بناءً على المنهاج والمواد ومجالات الاهتمام.
الصفوف المستقلة (المفردة، أو المتعدِّدة)
المدارس الجاذبة.
التقنية المدمجة.
دراسة اللغة الأجنبية أو متعدِّدة الثقافات.
الخيار الشخصي: الزمالة مع المجموعات، والتدريب المهني، والوضع في ظل الإشراف.
خيارات التسريع: القبول المبكِّر، وتخطِّي الصفوف، وتسريع المواد، والتسجيل المزدوج في صفوف المرحلة المتوسطة.
برنامج المواهب المميزة: الكُتَّاب الصغار، والبرامج الصيفية، وبرامج عطلة الأسبوع، ومهرجان (أولمبياد) الرياضيات، والمهرجان (الأولمبياد) العلمي، ونادي الرياضيات، والمعارض العلمية، وغير ذلك.

الشكل (5-1): خدمات وبرامج لطلاب المرحلة الابتدائية*.

* مقتبس من مدارس لتطوير المواهب (SCHOOLS FOR TALENT DEVELOPMENT P.78), BY J. RENZULLI, 1994, WACO, TX: PRUFROCK PRESS. COPYRIGHT 1994 BY PRUFROCK PRESS. أعيد نشرها بإذن.

إنَّ مجموعات الإثراء هي تطبيق يُنفَّذ في المدرسة كلها لتوفير خدمات تعليمية مميزة للطلاب والمعلِّمين جميعًا، ولهذا فهي تُناسِب التجميع العنقودي المدرسي الشامل، وتعزِّز استخدام المعلِّمين كافةً التعليم المميَّز مع الطلاب جميعًا؛ إذ إنَّ مجموعات الإثراء تصنِّف الطلاب في مجموعات بناءً على مناحي قوتهم، ومجالات اهتمامهم. أمَّا المسهِّلون (الميسِّرون) فيساعدون الطلاب على تحديد المنتجات والخدمات التي يستعملون فيها أدوات علمية متقدِّمة وطرائق حديثة لإنتاجها للمتلقين في العالَم الخارجي تمامًا كما يفعل المحترفون الممارسون. يحرص المسهِّلون الذين يتبعون طرائق التجميع العنقودي على إضافة أحد برامج الإثراء إلى اليوم الدراسي، وهم يتعلمون فعل ذلك مستعينين بكتاب **مجموعات الإثراء: خطة عملية للتعلُّم في العالم الحقيقي والموجَّه من الطلاب** (الطبعة الثانية).

من جانبها، توفِّر برامج المواهب الخاصة تعليمًا ثريًّا للطلاب في مجال اهتماماتهم الخاصة، وهي موصوفة في الملحق (د): التدريس المتمايز المقترح ومصادر تربية الموهوبين. إنَّ هذه البرامج التي تتصف باستخدام أدوات ومواد من خارج المناهج المدرسية لقادرة على النهوض بكل ما هو أكاديمي ليصل مستوى الرياضات في المدرسة، بحيث يمكن الاحتفال بحاملي ميداليات (الأولمبياد) العلمي ومسابقات نوادي الفكر جنبًا إلى جنب مع نجوم كرة السلة وكرة القدم.

تَبيَّن لي من عملي في هذا المجال أنَّ المعلِّمين (العامِين) يستعينون غالبًا ببعض المواد والإستراتيجيات وبرامج تربية الموهوبين ويطبِّقونها على طلابهم. قال أحد المعلِّمين:

«لقد تعلَّمتُ الكثير من معلِّمة الصف الثالث، واستعملتُ بتصرُّف الكثير من الإستراتيجيات التي تستعملها مع طلابها النابغين. وقد استعملتها مع طلابي من ذوي الحاجات الخاصة، وذوي التحصيل العلمي المنخفض. لا أعتقد أنَّ مفهوم تربية الموهوبين يُطبَّق فقط على الطلاب الموهوبين».

وهكذا، فإنَّني أحثُّ المعلِّمين على النظر إلى سلسلة الخدمات، ولا سيما أنَّ إستراتيجيات الموهوبين وبرامج التربية خاصتهم قد تفيد برنامج التعليم العام. وإنَّني أحثُّ أيضًا إدارة المدرسة على دراسة احتمال تقديم عدَّة خيارات مختلفة للطلاب بهدف الوصول إلى عدد أكبر منهم.

برامج السحب والإدخال والإرسال

في أيٍّ من برامج الموهوبين التي تتطلب توافر مكوِّن خدمتي السحب أو البرامج المستقطعة (pull-out) و (send-out)؛ يمكن إرسال الطلاب الذين يمثِّلون المجموعة المتفوِّقة علميًّا إلى معلم مصادر الموهبة، وعرقلة عملية التدريس في صفوف قليلة فقط، علمًا بأنَّ خدمة السحب هذه لا تستغرق أكثر من ساعة واحدة أسبوعيًّا.

تقدِّم عملية التجميع العنقودي خدمات طوال اليوم الدراسي للطلاب ذوي التحصيل العالي، وهي بذلك تتكامل مع خدمة سحب الطلاب بخدمات منتظمة مكثفة. ويمكن لأيِّ طالب أنْ يشعر بنجاعة هذه العملية وفاعليتها في حال توافرت خدمات السحب المباشر لحاجات خاصة أخرى؛ فمثلًا قد تتلقى مجموعة الطلاب الذين يدرسون اللغة الإنجليزية بوصفها لغةً جديدةً خدمات إثراء وتعزيز؛ إمَّا بصورة سحب للطلاب، وإمَّا عن طريق متخصِّص يُثري معلومات الطلاب داخل الصف. ويمكن للطلاب أيضًا أنْ يساعد بعضهم بعضًا بوصفهم يعملون في مجموعة واحدة، ويمكن للمدرسة المشرفة عليهم أنْ تعيد جدولة برنامج خدماتها الخاصة، والمحافظة على التجانس بين الخدمات. وتطوير ترتيبات مشابهة عن طريق تجميع الطلاب الذين يتلقون خدمات تحسين القراءة أو الكلام، أو أيَّ خدمات تعليمية أخرى عنقوديًّا في صفوف مخصَّصة.

وفي المقابل، يتطلَّب تطبيق سحب الطلاب التقليدي الكثير من المعلِّمين والصفوف، مما يصعِّب مهمة الجدولة والتنسيق، ويتطلَّب أيضًا مستويات دعم متنوعة من المعلِّمين جميعًا، بيد أنَّ سحب الطلاب ذوي الحاجات الخاصة بصورة منتظمة لن يؤثِّر سوى على عدد

محدود من المعلِّمين، ويتوقَّع معلِّم هذه الفئة أنْ يغادر الطلاب من أجل الخدمات، فيعمد إلى إيصالها، ويخطِّط التعليمات مع بقية طلاب الصف في أثناء عملية السحب.

إنَّ خدمات دخول المعلِّمين المساعدين تشابه خدمات الإخراج التي يعمل فيها الاختصاصي والمعلِّم المساعد جنبًا إلى جنب مع معلِّمي الصف. ولا شكَّ أنَّ تجميع الطلاب عنقوديًّا يُسهِّل خدمات دخول المعلِّمين المساعدين؛ وذلك بالطلب إلى الاختصاصيين والمعلِّمين المساعدين الذهاب إلى صفوف أقل، فيمكن بذلك إطالة وقت وجودهم في صفوف تجميع الطلاب.

في إحدى المدارس التي تطبِّق هذا النظام، قضى كل معلِّم مساعد في برنامج المستوى الأول خمسة أيام ونصف اليوم في كلٍّ من الصفين؛ لتوفير الدعم النوعي لمعلِّم الصف. وبالمثل، فقد تمكَّن المرشد التربوي لطلاب صعوبات التعلُّم في مدرسة أخرى من البقاء في عدد أقل من الصفوف، ولكن لمُدَدٍ أطول مقارنةً بالأعوام السابقة؛ وذلك بتطبيق فكرة تجميع الطلاب عنقوديًّا. وفي ما يخص طريقة دخول المعلِّمين المساعدين، فإنَّ الطلاب الآخرين لا يعتقدون بوجوب مغادرة هذه الفئة من الطلاب غرفة الصف، يضاف إلى ذلك أنَّ الاختصاصي أو المعلِّم المساعد الذي يعمل مع هؤلاء الطلاب يصبح جزءًا من مجموعة الصف، بحيث يساعد الطلاب المستهدفين ومعلِّم الصف، ويتواصل بإيجابية مع الطلاب الآخرين في الصف. ختامًا، يكمن مفتاح نجاح هذا النمط في دعم الاختصاصيين والمعلِّمين المساعدين لمعلِّم الصف، وكذا تلبيتهم حاجات هؤلاء الطلاب الخاصة.

الصفوف المستقلة والمدارس الجاذبة

تُطبِّق بعض المناطق سياسة الصفوف المستقلة للطلاب الموهوبين والنابغين، أو ترسل طلابًا محدَّدين إلى مدارس جاذبة. وقد أثبت البحث أنَّ هذه البرامج تفيد الطلاب وتخدمهم أكاديميًّا واجتماعيًّا وعاطفيًّا (Delcourt, Loyd, Cornell, & Goldberg, 1994; Kulik, 2003). ولكن، يُؤخَذ على هذه البرامج أنَّها قد تكون إقصائيةً، وأنَّها تحد من عدد

الطلاب المنضمين إليها (Renzulli & Reis, 1997). يمنع هذا الحد غالبًا إضافة طلاب جدد في أثناء تنفيذ البرنامج، وتواجه المقاطعة التي تقدِّم برامج تسمح فيها فقط لعدد قليل من الطلاب بالاستفادة من خدمات محدَّدة في صفوف معيَّنة أو مدارس محدَّدة خطر عدم شمول برامجها الطلاب الذين يمكنهم إحراز النجاح في البرامج، مثل: الطلاب المنحدرين من طبقات فقيرة، أو أولئك المنحدرين من مجموعات ثقافية محرومة (United States Department of Education, 2000; Miller, 2004; Yoon & Gentry, 2009).

وبعبارة أخرى، فإنَّ البرامج المقيَّدة بعدد الأماكن في المدرسة أو الصف تعني حرمان الطلاب الذين قد يستفيدون منها، وكذا الطلاب الذين طوَّروا قدراتهم بعد قضائهم سنوات عدَّة في المدرسة، وأصبح تحصيلهم العلمي كبيرًا. ولحسن الطالع، تتميَّز هذه البرامج بالمرونة، ويمكن مواءمتها بحيث تشمل أعدادًا أكثر من الطلاب، وتُطبَّق في أماكن أوسع.

تجدر الإشارة إلى أنَّه يمكن تطبيق نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل في المدارس الجاذبة والصفوف المستقلة؛ وذلك بإيصال خدماته إلى عدد أكبر من الطلاب، وإشراك عدد أكبر من المعلِّمين، ممَّا يُفضي إلى تطوير عدد أكبر من مواهب الطلاب. وقد يظن المرء أول وهلة أنَّ تحديد الطلاب الذين سيخضعون لسبر من أجل قبولهم في المدارس الجاذبة أو الصفوف المستقلة يعني عدم تعريض الطلاب المميَّزين للسبر في صفوف المجموعات ذوات التحصيل العلمي المرتفع، ولكنَّ الواقع لا يثبت هذا الأمر. وعلى النقيض من ذلك، فإنَّ المدارس الجاذبة أو الصفوف المستقلة الانتقائية تفقد غالبًا- بسبب إجراءات انتقائها غير المرنة- الطلاب ذوي التحصيل المرتفع الذين ينتهي بهم المطاف في برامج المجموعات العنقودية، يضاف إلى ذلك أنَّ بعض أولياء الأمور يمتنعون عن إرسال أبنائهم إلى المدارس الجاذبة؛ ليتمكَّنوا من مراقبتهم والإشراف عليهم، أو للبقاء مع أصدقائهم، أو خوفًا من عدم استجابتهم لبرامج هذه المدارس.

وفي المقابل، فإنَّ التجميع العنقودي المدرسي الشامل يوفِّر لهؤلاء الطلاب الصغار سبرًا آمنًا في مدرستهم الأم، فضلًا عن خدمة عدد أكبر من الطلاب، واختيار طلاب

إضافيين بمرور الوقت. وتأسيسًا على ذلك، فإنَّ هذا البرنامج يُكمِّل برامج المدارس الجاذبة والصفوف المستقلة في مقاطعة ما. وقد لاحظتُ في أثناء عملي في بعض المقاطعات وجود مدارس جاذبة للطلاب الموهوبين، ومدارس ابتدائية أخرى تُطبِّق برامج التجميع العنقودي المدرسي الشامل لتلبية حاجات الكثير من الطلاب ذوي التحصيل المرتفع فيها. ولاحظتُ أيضًا أنَّ هاتين الخدمتين (المدارس الجاذبة، وتجميع الطلاب) تعملان معًا بصورة جيدة في هذه المقاطعات، وتُقدِّمان خدمات نوعية مميَّزة لمختلف المدارس. يُذكَر أنَّ التجميع العنقودي المدرسي الشامل يوفِّر للمقاطعات برنامجًا آخرَ في سلسلة خدمات يُكمِّل كلٌّ منها الآخر؛ سعيًا إلى تطوير مهارات الطلاب.

التقسيم في الصفوف الابتدائية العليا

يتطلَّب التقسيم تركيز كل معلِّم من معلِّمي الصف الواحد على مادة علمية واحدة، وانتقال الطلاب بين معلِّم وآخر من أجل التحصيل العلمي؛ فمثلًا قد يدرِّس معلِّم ما موضوعات العلوم، ويدرِّس معلِّم آخر موضوعات الرياضيات، ويدرِّس آخر الدراسات الاجتماعية. وهكذا، يمتلك طلاب الصف في هذه العملية غرفةً أساسيةً، ثم ينتقلون إلى صفوف أخرى مع معلِّمي التخصصات، مستعملين برنامجًا متفقًا عليه بين المعلِّمين. يهدف التقسيم في الصفوف العليا إلى إثراء المنهاج بخبرات جديدة، إضافةً إلى إعداد الطلاب للمرحلة المتوسطة حيث يكون تغيير المعلِّمين والغرف الصفية أمرًا معتادًا.

صحيح أنَّ التخصص قد لا يتعارض مع التجميع العنقودي المدرسي الشامل، بيد أنَّه يجب على كل معلِّم أنْ يوافق على فرز مجموعة من طلاب الصف الأساسي من مجموعة الطلاب ذوي التحصيل المرتفع؛ إذ تعزِّز هذه الموافقة شهرة معلِّمي الصف الواحد وجودة تعليمهم، فيلتزم كلٌّ منهم بإيصال منهاج يتحدى قدرات طلاب المجموعات ذوي التحصيل المرتفع ويحفزهم. وبذلك يطوِّر المعلِّمون كافةً مهارات في التعامل مع الطلاب المتقدِّمين،

وينشئون مناهج تفي بحاجات هؤلاء الطلاب. وينتج من هذه المهارات خبرة متزايدة، ومنهاج أكثر غنى يفيد الطلاب جميعًا في الصف الواحد.

وفي السياق نفسه، فقد تُنشِئ المدرسة -أحيانًا- صفًّا للطلاب ذوي التحصيل المرتفع عندما يصل الطلاب إلى الصفوف الابتدائية العليا. وفي هذه الحالة، سيجد المعلِّمون أنَّ أحد صفوفهم يحوي الطلاب المتقدِّمين فحسب. ولكن، لسوء الطالع، فإنَّ هذه الطريقة تَحول دون نقل الطلاب ذوي التميُّز العلمي في مادة واحدة فقط من المجموعات وإليها -مثلما أشرنا آنفًا- إلَّا إذا تمكَّن فريق المعلِّمين للصف الواحد من ابتكار طريقة جدولة مميَّزة لإيجاد أماكن للطلاب كافة.

برامج الأعمار المتعدِّدة

إنَّ تطبيق التجميع العنقودي المدرسي الشامل في صفوف الطلاب ذوي الأعمار المختلفة يحتاج إلى مزيد من الدراسة، ولكن-- في الأحوال جميعها، فإن المنطق السليم المنسجم مع أهداف هذا النموذج يستدعي الممارسة، وفي ما يخص برامج الأعمار المتعدِّدة، فإنَّه يتعيَّن على الطلاب النابغين في كل صف إنشاء المجموعة، في حين يوضع الطلاب الآخرون على النحو الذي اقترحنا في الفصل الثاني. أمَّا في الصف الحلقي النموذجي فإنَّ المعلِّم ينتقل مع طلابه إلى الصف الأعلى، ولكن يجب إضافة طلاب جدد في السنة الثانية من سني الحلقة، ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة إذا كان المعلِّم نفسه يدرِّس مجموعة الطلاب النابغين. وفي حال حُدِّد المزيد من الطلاب ضمن فئة الطلاب ذوي التحصيل المرتفع كل عام، فيجب إضافة هؤلاء الطلاب إلى مستوى السنة الثانية من الحلقة. أمَّا إذا أُنشِئت مجموعتان من طلاب هذه الفئة فقد لا يكون هذا الأمر ضروريًّا في هذه الحالة.

نموذج الإثراء الثلاثي ونموذج بوردو ثلاثي المراحل

يحتوي نموذج الإثراء الثلاثي (Renzulli & Reis, 1994) على بند يُحتِّم التحاق الطلاب بالبرنامج سعيًا إلى استقصاءات النمط الثالث (Type III)، والتدريب المكثَّف على المهارات المنهجية. وبالرغم من أنَّ هذا البرنامج يشمل عددًا منوَّعًا من الطلاب، فإنَّ الطلاب الذين أمكن التعرُّف إليهم بوصفهم طلابًا نابغين حسب التجميع العنقودي المدرسي الشامل قد يحتاجون إلى خدمات في نموذج الإثراء الثلاثي. وتبعًا لما نوقش في الفصل الثالث، يمكن اعتماد نموذج الإثراء الثلاثي بوصفه أساسًا لإثراء يُطبَّق في المدرسة كلها، وإيصال خدمات الموهوبين إلى طلاب الصفوف كافةً.

والشيء نفسه ينطبق على نموذج بوردو ثلاثي المراحل (Moon et al. 2009) الذي يسعى فيه الطلاب المميَّزون والموهوبون إلى تحصيل علمي متقدِّم؛ وذلك باجتياز ثلاث مراحل من الدراسة المكثَّفة، ثم تنفيذ مشروع ختامي يمثِّل الناتج النهائي للعمل كله. تركِّز المرحلتان: الأولى والثانية على تقديم المحتوى المعرفي، إضافةً إلى تعزيز مهارة حل المشكلات، وتوفِّر المرحلة الثالثة بحثًا موجَّهًا ذاتيًّا، وتطويرًا لمنتج يشابه نمط رينزولي الثالث، ولكن بتركيز أكبر على الحقل العلمي من الدراسة. يتضمَّن كلٌّ من هذين البرنامجين عنصر سحب (إخراج) للطلاب يساعد معلِّمي الطلاب ذوي التحصيل المرتفع على إيصال خدمات متقدِّمة إلى طلابهم، ويمنح المعلِّمين وقتًا للعمل مع طلاب آخرين في مجموعات صغيرة ضمن صفوفهم في أثناء وقت إخراج الطلاب.

وأخيرًا، يتعيَّن على فريق المنطقة كلها -عند مراعاة تطبيق فكرة المجموعات وكيفية عملها بالتوازي مع خدمات موجودة أو محتملة- أنْ يلحظ كيف يمكن لهذا النموذج أنْ يتكامل مع خدماته، ويوفِّر عددًا أكبرَ من الخدمات لأعداد أكثر من الطلاب والمعلِّمين والمدارس.

من جانب آخر، لا ينبغي لتطبيق التجميع العنقودي المدرسي الشامل أنْ يُستعمَل بديلًا عن الخدمات الأخرى المقدَّمة أو تلك التي يُحتمَل تقديمها للطلاب؛ إذ لا يمكن لمواهب الطلاب أنْ تتطوَّر إلَّا بوساطة سلسلة متكاملة من الخدمات. وللحقيقة، فإنَّ التجميع

العنقودي المدرسي الشامل يوفِّر للمقاطعات طريقةً لوضع الطلاب في صفوف على نحوٍ يساعد المعلِّمين على تلبية الحاجات العلمية للطلاب بصورة أمثل، ويساعد الطلاب كلهم على التحصيل الأعلى. وبعبارة أخرى، تكتسب منهجية التجميع العنقودي المدرسي الشامل فاعليتها عند توأمتها مع الخدمات الأخرى.

إنَّ طريقة تجميع الطلاب في مجموعات عنقودية تُسهِم في تنظيم الصفوف على نحوٍ يفي بحاجات الطلاب الفردية. وتُعَدُّ الإستراتيجيات التي يستعملها المعلِّمون لحفز حاجات الطلاب العلمية وتلبيةها ركيزةً أساسيةً لتطوُّر الطلاب، وستكون هذه الإستراتيجيات والمصادر الداعمة محور الجزء الثاني من هذا الكتاب.